الفصل الأول
الدراسات المستقبلية
مفهومها – نشأتها – أهدافها

مقدمة

إن الاهتمام بالمستقبل يعتبر شيئا مميز أو سمة بشرية ظهرت منذ فجر التاريخ حيث أن مسألة الإنسان حظيت باهتمام عميق خلال تاريخها دراسة ومناقشة.

ولقد كان للفلاسفة والمفكرين والمؤرخين دور كبير في الماضي في إعلان شأن التفكير في المستقبل بصور مباشرة وغير مباشرة ومن أمثلتهم سقراط وأفلاطون حيث كان يحيي التنبؤ بالمستقبل ويصفه بأنه أسمي الفنون، فقد أهتم البشر دائما بالمستقبل كان ذلك ظاهر بوضوح في كل الحضارات القديمة حيث سعت هذه الحضارات إلى تطوير وسائل وأساليب التنبؤ بتطورات المستقبل.

وأن الإنسان كان المفجر الأساسي للوعي بالمستقبل لدى الجنس البشري الاهتمام بالمستقبل والسعي للتعرف عليه، ومن ثم التخطيط لمواجهته والتعامل معه أمر قديم قدم المجتمعات البشرية غير أن الاهتمام العملي بدراسة المستقبل كظاهرة ومجال اهتمام أكاديمي يقوم على مناهج لدراسته ونظريات لتفسيره واستراتيجيات أو خطط للتعامل معه، يرجع إلى بداية النصف الثاني من القرن

obeikandl.com

العشرين، ولقد مر السعي لمعرفة المستقبل كاهتمام عام وكعلم بعدة صور ومراحل متداخلة وليست متعاقبة واعتمد التفكير في المستقبل في كل مرحلة من هذه المراحل على أسس فكرية ونظرية ومنهجية.

كما اكتسبت دراسات المستقبل اليوم الحرص على الشمول قدر المستطاع (والتطور في مجال الحاسبات حجما وكفاية ولغة يسمح بذلك) حتى يمكن مراعاة التكاليف الاجتماعية للسعي نحو صورة بعينها للمستقبل، وحتى يمكن التعبير عن حقيقة ديناميات التغيير ومحدداته في الواقع والتعبير عن الديناميات ما يجب أن يهمل إشكالية العلاقة بين الذاتي والموضوعي في المعطي التاريخي فإذا استغرقت مناهج دراسة المستقبل في التعبير عن المعطي الموضوعي أدت إلى روح أدواتية ومشاهد مستقبلية خطية (اتجاهية) بعيدة عن الدرس التاريخي كذلك إذا استغرقت المناهج في الاختبارات الذاتية المثالية ومجرد الاستهداف جاءت كبرنامج سياسي رومانسي كأغلب ما تم في الاستراتيجيات العربية في إطار منظمات جامعة الدول العربية.

إن استثمار الثروة البشرية وتوفير متطلباتها من التعليم بمختلف أنواعه، ووضع السياسات واتخاذ الإجراءات الكفيلة بترشيد سبل استخدام المجتمع العربي لما لدى أبنائه من قدرات وإمكانات هو السبيل الوحيد المتاح له لكي يحقق تقدمه المنشود ويكفل للشعب العربي مكانة لائقة بين شعوب العالم وهو يعيش على مشارق قرن جديد، ولن يتم له ذلك إلا من خلال معالجة مبتكرة تنطلق من إعادة النظر في منظومة التربية والتعليم تطويرا وتجديدا وتجويدا لها، فقد أضحت النظم التربوية اليوم وهي مسئولة عن إحداث التنمية الشاملة مسئولة عن الإنسان ومستقبله، وهي مدعوة أكثر من أي وقت مضي إلى تطوير ذاتها وتجديدها ليس كاستجابة خجولة لضغط جملة من الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية وإنما كمبادرة ذاتية تسعي

إليها بخطي مطمئنة تجعلها أكثر قدرة على ملائمة ميول المتعلم واستعداداته وقدراته، واحتياجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تتطور باستمرار، ذلك إن نجاح أي نظام تربوي تقاس بمدي قدرته على إيجاد التوافق والانسجام بين الطموحات الذاتية للمتعلم الفرد وبين متطلبات التنمية المجتمعية الشاملة.

وأن الاهتمام بمستقبل التعليم العربي تكمن فيما سيحمله المستقبل للتعليم من تحديات هائلة ومتسارعه ومتنوعة فمن ناحية يقترب القرن على الانتهاء وقد حدثت تطورات مذهلة في مجال العلم والتكنولوجيا والمستقبل يحمل المزيد بهذا الشأن ورغم أن معظم الدول المتقدمة تتجه وبسرعة إلى اقتصاد قائم على كثافة عالية للمعرفة والمعلومات، إلا أنه من المعتقد أن التطورات العلمية لم تسفر بعد ولم تحقق نتائجها كاملة، ويفسر ذلك بأن المجتمعات المتقدمة لم تستطع أن تقابل هذه التطورات بالقدر الملائم من تنمية رأس المال البشري، وخاصة في مجال التعليم والبحث العلمي، والذي يعد أساسيا لكي تترجم هذه التطورات إلى ابتكارات في مجال النشاط الاقتصادي المختلفة لذلك رغم ما تتمتع به أنظمة التعليم والبحث العلمي في الدول الصناعية من تقدم نسبي ضخم مقارنة بالأوضاع في العالم العربي، إلا أن هذه المجتمعات تتصارع وتتسابق من أجل الاستثمار بكثافة في المستقبل وفي التعليم بالذات.

ونظرا لأن الاستثمار في التعليم هو استثمار طويل الأجل لا يؤتي ثماره الفعالة إلا في فترة طويلة من الزمن قد تمتد إلى ما يقرب من عقدين، ذلك لأن مخرجات التعليم الحالية تعكس السياسات التربوية التي تقررت خلال السنوات العشرين الماضية ومن هنا كان اهتمام المخطط التربوي بطرق وأساليب دراسة المستقبل لمعرفة احتمالاته المتوقعة والممكنة.

أولا: مفهوم الدراسات المستقبلية

إن مجال المستقبليات هو علم عملي متكامل متداخل الأنظمة يعتمد على معلومات محددة من جميع العلوم والعلوم الاجتماعية، ففيه يعتمد دارسو المستقبل على مجموعة من الخبراء ومعارفهم عندما يتعاملون مع المستقبليات الممكنة بخصوص النفايات النووية أو يعتمدون على آخرين عندما يعالجون مستقبلات النمو السكاني والبيئة، والاتصالات والتعليم وتوصيل الخدمات وهكذا فإن مجال المستقبلات يعتمد بدرجة كبيرة على العلوم وهذ الاعتماد هو السبب الرئيسي الذي يفسر تأخر دراسات المستقبلات المفضلة عن دراسة الممكن والمحتمل، وأن علم المستقبل يهتم بالتطورات لمستقبلية الفعلية ويستشرف أحداث الزمن الأتي مستهدفا تحديد مدي 'حتمال وقوعها.

وبذلك يعرف علم المستقبل بأنه تخصص علمي جديد يحاول فيه الباحث تكوين صور مستقبلية متنوعة محتملة الحدوث، وفي ذات الوقت يهتم بدراسة المتغيرات التي يمكن أن تؤدى إلى احتمال تحقيق هذه الصور المستقبلية، هذا العلم يهدف إلى رسم صورة تقريرية محتملة للمستقبل بقدر المستطاع.

كما تعني أيضا دراسات المستقبل بالبحث في بدائله للأجل الطويل، مستهدفة خلق الوعي حول تحديات المستقبل وثمن الاختيار بين البدائل الاجتماعية، وذلك لعبت دورا غاية في الأهمية منذ بداية السبعينيات وحتى الآن في تطوير الفكر النظري والأيدلوجي وفهم تشابكات الحياة ومحدداتها وفي صياغة الغايات والأهداف.

يميز الدارسون في علم المستقبل بين ثلاثة مفاهيم أساسية يتناولها الباحثون في الدراسات المستقبلية: التصور Speculation، التوقع المحسوب projection، التنبؤ forecasting.

1- التصور **Speculation**: يقصد الباحثون بهذا المفهوم هو العملية التي من خلالها يتم تكوين صورة متكاملة للأحداث في فترة مستقبلية وتتأثر هذه الصورة المستقبلية بعوامل الابتكار والخلق والخيال العلمي من جانب الباحث في محاولة لتصميم هذا التخيل المستقبلي.

2- التوقع المحسوب **Projection**: يميل الباحثون عند استخدام هذا المفهوم باعتباره أنه يشير إلى العملية التي تقوم على فهم وإدراك تتطور الحدث أو الأحداث من الحاضر إلى امتداد زمني مستقبلي، لمعرفة اتجاه وطبيعة التغير اعتمادا على استخدام معلومات متنوعة عن الحاضر وتحليلها والاستفادة منها لفهم المستقبل.

3 التنبؤ **forecasting** يتناول الباحثون هذا المفهوم باعتباره عملية دراسة المستقبل من حيث المحتوى والطريقة فهو يتضمن محاولة تكوين صورة مستقبلية متنوعة محتملة الحدوث كما يتضمن في نفس الوقت دراسة المتغيرات التي يمكن أن تؤدى إلى احتمال تحقيق هذه الصورة المستقبلية.

تعرف الدراسات المستقبلية بأنها مجموعة من الدراسات والبحوث التي تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث وتحليل مختلف المتغيرات التي يمكن ان تؤثر في إيجاد هذه الاتجاهات أو حركة مسارها، أو أنها مجموعة الدراسات والبحوث التي تكشف عن المشكلات أو التي بات من المحتمل أن تظهر في المستقبل، وتتناسب بالأوليات التي يمكن أن تحدها كحلول لمواجهة هذه المشكلات والتحديات.

كما تعرف أيضا الدراسات المستقبلية بأنها مجموعة من البحوث والدراسات التي تهدف إلى الكشف عن المشكلات ذات الطبيعة المستقبلية والعمل على إيجاد حلول عملية لها كما تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث

وتحليل المتغيرات المتعددة للموقف المستقبلي والتي يمكن أن تكون لها تأثير واضح على مسار الأحداث في المستقبل.

وبإيجاز تعرف الدراسات المستقبلية بوصفها ممارسة فكرية معرفية بحثية إبداعية تقوم على الملاحظة والوعي لتقويم ترابط وتفاعل الممكنات الحاضرة للنمو حاضنة المستقبل في سياقها البنائي الأوسع، في ضوء تركيب وإعادة تركيب مكونات قاعدة رحبة من المعلومات لاشتقاق المرغوب فيه مما هو ممكن ومن عدة بدائل يمتزج في بنائها وصوغها العلم بالخيال بالإبداع وبمد البصر والبصيرة للأمام والتركيز على دراسة الماضي والحاضر بدلالة المستقبل ودراسة الحاضر الماضي والحاضر المستقبل والتمييز بينهما.

مما سبق يتضح أن الدراسات المستقبلية أو علم المستقبل ينتمي إلى دائرة العلوم الاجتماعية التي تدور حول الإنسان وعالمه ومجتمعه حيث يميل أوسيب فلشتهايم O. Flechtheim إلى اعتبار هذا العلم فرعا من علم الاجتماع، وشبيهها بعلم الاجتماع التاريخي وذلك رغم الاختلاف الواضح بينهما، والذي يتمثل في تركيز علم الاجتماع التاريخي على أحداث الماضي في حين أن علم المستقبل يهتم بالتطورات المستقبلية الفعلية، ويستشرف أحداث الزمن لآتي مستهدفا تحديد مدي احتمال وقوعها.

كما ينظر شان shane إلى الدراسات المستقبلية على أنها تخصص علمي جديد يختص بصقل البيانات وتحسين العمليات التي على أساسها تتخذ القرارات والسياسات في مختلف مجالات السلوك الإنساني مثل الأعمال التجارية والحكومية والتعليمية والفرص من هذا التخصص مساعدة متخذي القرارات وصانعي السياسات على أن يختاروا بحكمه في إطار اغراضهم وقيمهم من بين المناهج البديلة المتاحة للفعل في زمن معين.

ثانياً: نشأة وتطور الدراسات المستقبلية

بإجراء نظرة تبعية لتطور مجال الدراسات المستقبلية يلاحظ وجود عوامل قوية أدت إلى زيادة الاهتمام بها وخاصة الاهتمام بأدواتها وأساليبها البحثية.

حيث شهدت الأعوام القليلة خلال عقد السبعينيات والنصف الأول من عقد الثمانيات اهتماما كبيرا بهذه الدراسات وأفردت لها الدوريات مكانا بارزا في مختلف الدراسات الأخرى ولم تكتشف هذه الدراسات المستقبلية بدراسة التصورات المستقبلية المحتملة بل زادت عليها اهتماما بدراسة الأدوات والوسائل التي يمكن أن تؤثر في مجرى الأحداث فيما يسمي بصناعة المستقبل وليس فقط دراسته.

عوامل نشأة وتطور الدراسات المستقبلية:

1) فتن الإنسان عبر تاريخه الطويل بالتطلع إلى المستقبل، وتميزت معظم المجتمعات البشرية منذ الإنسان البدائي بمحاولة التنبؤ بالمستقبل:

أ- أن الرعاة القدماء كانوا وهم يحرسون قطعا بهم بالليل في وادي نهر دجلة والفرات ينظرون إلى السماء فوقهم، وتصوروا أن الكواكب والأبراج السماوية تمثل حيوانات تخيلية وأشياء أخرى.

ب- قد ربط الكهنة البابليون بين الكواكب وبعض مقدساتهم ومن هنا توصلوا إلى فن الفلك وهي ممارسة التنبؤ بحوادث المستقبل من دراسة حركات وأماكنها بالنسبة لبعضها البعض.

ج- كان للملوك والأباطرة في العصور الوسطي أناس خصيصون يقرأون لهم الطالع ويقدمون لهم النصح في أمورهم المختلفة.

2) وإذا كانت بعض المجتمعات قد راودها في الماضي شئ من التفكير في مستقبلها فإن هذا النوع من التفكير يعتبر عملا هامشيا أو مجرد